

المجتمع اللبناني: ضياع، قلق، ويأس...

إنَّ ما يميِّز الإنسان عن كل الكائنات الأخرى أنَّه مكوَّن من جسدٍ وروحٍ وكلاهما بحاجةٍ إلى الغذاء حتَّى يؤمِّن الإنسان لنفسه البقاء والإستمرارية. والإنسان الطبيعي هو من تتناغم وتيرة نمو روحه مع نمو جسده وعقله. وبقدر ما تتسجم الراحة النفسية الداخلية مع صحة الجسد الفزيائية يكون الغنسان أقرب إلى السعادة وإلى الأمان والأطمئنان. يغذَى الجسد بالطعام وبالمواد المتنوعة أمَّا الروح فغذاؤها يختلف تمامًا. فالروح بحاجةٍ إلى الصفاء وإلى الراحة وإلى الجمال وإذا ما تعرَّضت لأي قلقٍ أو اضطرابٍ قد تؤدي إلى اليأس. غذاء الروح يتطلب مصادر روحية تتمثل بالإيمان والصلاة والتأمل ومن ثم تذوق الجمال الطبيعي أم الجمال الفني من شعرٍ وموسيقى وفنونٍ أخرى. وكلما توفَّر للروح هذا الغذاء الروحي كانت أرقى وأكثر قربًا من الفضيلة والشعور الراقية تعرف بذلك من كثرة إهتمامها بالأمر الروحية والفنية. عرفنا في الآونة الأخيرة وبعد تطور الإنترنت تحول الناس وبشكل خاص جيل الشباب نحو القلق والاضطراب والحزن وأحيانًا اليأس فتفشَّت المخدرات ولجأ الشباب إلى أمور مخزية التي قد تؤدي بها إلى اليأس وأحيانًا إلى الإنتحار فلم نعد نرى أحدًا سعيدًا أو فرحًا فلا نسمع سوى التذمر والقلق والاضطراب ومحاولة الهروب من الواقع وعدم الإستقرار مما ينذر بمشكلاتٍ خطيرة تهب على مجتمعاتنا إجتماعية ونفسية...

في التفتيش عن حلٍّ ومعالجة أسباب هذه الحالة كان لنا لقاءات مع بعض المهتمين بالشأن الاجتماعي حيث اقترحنا الأسئلة التالية:

- أهم الأسباب الكامنة وراء القلق عند الشباب؟
- ما هي أهم الحلول؟
- كيف ومن أين نبدأ بناء مجتمع سعيد؟

- كيف ومن أين نبداً بيناءِ مجتمع سعيد؟

المسؤولية تجاه هؤلاء الشباب هي مسؤولية جماعية تقع على ثلاثة أفرقاء: الأهل والدولة والمدارس. بالنسبة للأهل الذين هم الأساس في التربية وعليهم تحصيل أولادهم بالأخلاق و بوضع المبادئ الاجتماعية لتيسير الأولاد بموجها، نجدهم غير مهتمين بهذه الناحية. وهم يتركون، كما يقولون، التربية للمدارس. أما بالنسبة للدولة التي يتسارعون الفساد وهي التي عليها تأمين العمل ومحاربة الآفات الإجتماعية فإن أعضاءها يتناقلون مع بعضهم ويتخاصمون الموارد فلا يهتمون بمشاكل الناس. وهنا يجب القول أن الشعب هو الذي يأتي هؤلاء الحكام ولا يسع أبدا تغييرهم. فحتى يرى الشباب اليوم بصقون للزعيم مهما كان برنامجه ويفتشون بعض المصادر الآتية كطلب المساعدة فسنرى في المدرسة أو دفع فواتير وسوى ذلك.

المدارس التي لها الدور الاساسي في التربية تنصرف الى جمع المال وقد ابعدت كثيراً عن مفاهيم التربية للدرجة انه لم يعد هناك من مادة تدعى التعليم الديني. فينشأ الولد بعيداً عن الدين وتعاليمه سواء في البيت او في المدرسة. نحن الكهنة نقوم بزيارات للمنازل في المناسبات الدينية وأحياناً زور المرضى «زور البيت الواحد تقريراً 4 مرات في السنة» من هذه الزيارات نلاحظ قلة اهتمام الكاهن بالأمر الديني فالوالد يحاول أن يتحاشى الحديث عن الدين والأولاد يخرجون من المنزل فكان زيارة الكاهن عبء ثقيل هذا عدا عن قلة احترام الكاهن كما أن يحصل في الماضي وقلة احترام الشخص بقليل من احترام تعاليمه.

نتهم بأننا نسافر وندعى إلى الحفلات والإحتفالات فأننا من جهةى أرى أنّ القاء التهم على الغير من الأمور البسيطة السهلة أما التواجد في الإحتفالات العامة الإجتماعية فهي ضرورة للكاهن لأنه في مثل هذه الإحتفالات يلتقى بالمسؤولين ويتعرف إليهم من أجل القيام بخدمات إجتماعية لبناء رعيته. والحضور ليس للأكل كما يقال. أما عن انجراف الشباب إلى المخدرات فالياس أحياناً الإجتراح فيعود إلى الرفاهية عند الإغنياء الذين يؤمنون بالأولادهم كل ما يرغبون به من سيارة واترنت ومال وأجانب المخدرات. أما عند الفقراء فيتحول الشباب إلى المخدرات بسبب قلة العمل والبطالة ثم تأتي الصحة السيئة فينجرف وراء المخدرات. أما الحل فيقع على كاهل الدولة التي من أولى أولياتها تأمين العمل والعيش الكريم للمواطنين وتأمين الخدمات من ماء وكهرباء. وعندما يجد الشاب العمل ويصبح لديه اتناج للمال يفكر بالزواج وإنشاء عائلة ويتبع عن اليأس والمخدرات. بسبب كثرة الآفات الإجتماعية فتأتي أقوم ثم يوحنا المعمدان «صوت صارخ بالبرية». أعد هذه الآفات ولا للكيسة وأكثر ما أعجب منه أنني أرى أحياناً الفناء وفي الساعة الحادية عشر ليلاً تجهز نفسها للذهاب إلى بيروت والسهرة وقضاء الليل هناك دون أن يكون للأهل أي تعليق أو ممانعة أو اهتمام وإذا ما صادف أن سالها أحد عن أهلها تقول عنهم بأنهم «دقة قديمة» وغيرها من الأمور والاختفاء التي تؤدي إلى مخاطر لا تحمد عفاها.

يجب أن تتعاون جميعاً لوضع حد لهذه الأمور وعندما أقول جميعاً يعني المسؤولين ورجال الدين والصحافة... النواب عندها لا هم سوى الوصول وبعد ذلك ينتهي دورهم.

هناك قضية أود أن أثيرها في هذا المجال وهي كثرة الغرباء في مدينة زحلة، وتغلغلهم عشوائياً في الأحياء كافة دون رقيب أو حسيب. إن وجود هؤلاء يتسبب بحصول أحداثٍ مشيئةٍ وزيادة أعمال السرقة عدا عن الخلل التركيبية الاجتماعية. أتمنى من الدولة والمسؤولين وضع سجلات لهؤلاء يحددون فيها أماكن تواجدهم وسكنهم ونسبة ما يمكن أن تتحملة هذه المدينة من الغرباء. كلمة أخيرة أقولها أن شبانا وبناتنا يريدون منا اهتماماً أكبر من العائلة والمدرسة والدولة.



د. يوسف شريم



مديرة ثانوية زحلة الرسمية
للبنات الباحثة في علم
الاجتماع السيدة ميراي بريدی.



د. جويل خراط غانم

اليأس ... المخدرات... الهجرة. من أين تمرّ طريق اليأس؟ وما هي العوامل المؤدية اليها؟ عوامل سنّي ليس أغلبها ضيق الأفق. ضيق الأفق لدى الشاب المرشح لعبور تلك الطريق. وضيق الأفق الاجتماعي الذي يدور في فلكه. أما ضيق الأفق الشخصي والنفسي فيعود الى أسباب بنيوية وفي بنية الشخص الفيزيولوجية الأساسية وإلى أسباب تربوية. وإلى البيئة المحيطة الموصلة الى الأبواب الموصدة والحائط المسدود. وضيق الأفق الاجتماعي حيث لا توجيه صحيح ولا تخطيط سليم لتوفير فرص العمل للشباب من قبل الدولة والسياسيين القادرين اذا صمموا وهياكل ومنظمات المجتمع المدني العليا. وتحرك موجة اليأس ويبدأ الظلام بالكثافة أمام عيني الشاب فإن ساء ناله ، فإلى عالم المخدرات، وإن قلّ سوءاً فإلى عالم الإغتراب. والمخدرات غربة بحد ذاتها، غربة داخلية يشعر خلالها المدمن بأنه ينأى عن واقعه المر. ورحل صوب عوالم أكثر راحة وتعاقاً كأنه يحلّ في أجواء حلم فائق الروعة. وإذ قبض للشباب بأن ينأى بنفسه عن عالم المخدرات الرهيب، فإن الغربة الداخلية العربية فإن أخرى تجتذبه بلا هوادة غربة خارجية الى عوالم يرى فيها خلاص الحصاره والثروة والسعادة. على أن أموراً غير هذه تنتظرهما إن تطا قدماه أرض الإغتراب. ولكنه قد يعانى ويصير ويحتمل المشاكل ويصل الى نتيجة ما يتبع له أن يمتنع رفاقه بمغادرة ديارات اليأس فيقولون. ويتعدّد الشباب عن وطنهم ويبقى الموقف هو التالي: إما أن يخذلنا المغتربون الى غربتهم وإما أن نعود فنجدهم من جديد البنا الى وطنهم وقد بات وصفاً حقاً. كيف؟ نعتلي للمغتربين كامل حقوقهم من خلال قوانين قائمة ولا تحتاج الى التطبيق وليس أغلبها حقهم في الإقتراب عن جرحهم عبر السفارات والقنصليات وتوفير الحماية الإغترابية لهم. وهي تمنحهم الكثير من الميزات في وطنهم وهذا أمر يكاد يجمع عليه اللبنانيون كافة. ففيه ازدهار لوطنهم وتحقيق آمال غالبية لمغتريهم.

إنَّ انفتاح المجتمعات على بعضها عن طريق التواصل بواسطة الانترنت أدخل الى مجتمعنا قيمًا جديدةً. أبرزها أنَّ الجيل الجديد يعيش وكأنَّ كلَّ شيءٍ مباح، وكلَّ شيءٍ مسموح به دون وجود حواجز أو حدود. إنَّ تبديل القيم بين القديم والجديد أوجد صراعاً ما بين الأهل والأولاد أقلَّ ما فيه اضطراب الأهل الى التخلّي عن دورهم الأساسي في دور الرادع. الأهل لم يعد بإمكانهم إيقاف أولادهم عند حدِّ وهنا خطورة المشكلة. وفي هذه الحالة يبادئ يجب على الأهل أن يحافظوا على الجزء القليل من الردع لأن ضياع ذلك قد يؤدي الى ضياع العائلة. وأهمُّ الطرق لذلك هي أن يصادق الأهل الأولاد وأن يحاولوا تقيّل هذه القيم الجديدة مع مراعاة وتحديث القيم القديمة حتى يبقى لديهم القدرة على وضع حدود ولو كانت بسيطة. ومن واجبات الأهل أن يمتصوا أوقاتاً مهمّةً مع أولادهم من سن الطفولة وحتى المراهقة بشكلٍ خاص. وفي هذه السن يجب أن يتصارع الأهل والأولاد حول الموضوعات التي كانت تعتبر من المحرمات كموضوع الجنس والمخدرات وسوى ذلك وإنْ أظهرها أولادهم شرّ مخاطر هذه الأمور وتنتهجها. ومن الضروري أن تتكرر هذه الجلسات والموضوعات بشكلٍ مستمر ودائم حتى يكونوا نزيح الإلزام من التكرار. لأن معرفة هذه الأمور عن طريق الأهل أفضل بكثير من معرفتها عن طريق الإصداق. أما بالنسبة للرادع الديني فإنَّ ذلك يعود الى القيم التي تغيرت وهذه القيم أخلاقية ودينية. إنَّ الانفتاح الكبير الحاصل الآن كثيراً على جيل الشباب فهم يرون حياة الرفاهية والبذخ التي يعيشها رجال الدين من جهة ويرون الأهل الذين يجهدون لتجميع المال من أجل السهر والركض وراء المظاهر والبذخ والترف. لا أحد يهتم لأخذ أولاده الى الكنيسة التي هي المناسبات التي تعتمد على المظاهر كالشعنية والأعراس فكان طبيعياً أن يتعلّق الشباب بالمظاهر وينسى جوهر الدين وقيمه. ممّا لا شك فيه أن هناك بعض المحاولات الفردية عن طريق جمعيات وأفراد تسعى الى حملات توعية بشكلٍ خاص بنسب المخدرات ولكن عملها ما يزال فردياً وبحاجة الى التنظيم والتكاتف.

من أبرز اسباب القلق عند الشباب غياب الشعور بالامان وتقدير الذات والانتماء. يبدأ ذلك من فراغ عميق في الطفولة ويتابع في سن الشباب خاصة إذا لم يفكر الاهل بكيفية ملء أوقات الفراغ لدى الاولاد بنشاطات مفيدة كالرياضة والرقص والموسيقى والمطالعة وأية هواية أخرى. ففتنaday بذلك الشعور بالفراغ والتعرض لاحقا لتأثيرات الاصدقاء السلبية الكامل نحو المخدرات والكحول والسهو والبعد عن الاهل. والانترنت مشكلة بحد ذاتها خاصة عند دخول اطفالها الواسعة نوع رقابة قبل الاستفادة من المعلومات الثقافية والعلمية يفتح الشباب على أمور تخل بتوجهاتهم وتشتت ذهنهم وبضائع وانحرافات كلها اسباب ومصادر للقلق. وهناك أيضا البطالة أحد أسباب القلق. وبالنهاية فإن حالة القلق المتواصل يمكن أن تؤدي الى اليأس الذي هو نتيجة انعدام الامل والحلول. ولمواجهة ذلك لا يجب ان يبقى الشاب وحده في مواجهة مشكلته بل عليه الحديث عنها والتفكير من عائلته والاشخاص الذين يحبونه دون محاولة اللوم على أحد وهذا يعود بنا الى دور الاهل بتوجيه الاولاد والاستماع اليهم ومساعدتهم بمرحلة النمو بالتواجد فريهم فوعلياً وتوجيههم الفوري منذ الطفولة نحو الإيمان والصلاة والإنكال على الله في كل شئ. وهكذا يتوصل الشباب الى السلام الداخلي الذي يعطيهم الامل عند اقبال الابواب امامهم. ومن الحلول محاولة اخراج الطاقة والعصية من داخلهم من خلال ممارسة الرياضة والاسترخاء واليوغا والتعبير عن المشاعر والمشى في الطبيعة والنوم جيداً، والاهتمام بالذات والآخر مع تعلم حب ومساعدة الآخر. ان السعادة تتعلق برغبات وطموحات ومشاريع كل انسان. فهي بالنسبة للبعض الحصول على مهنة يحبها أو تكوين عائلة أو الحصول على الشهادات أو العيش بسلام مع الذات والنسبة لآخرين و... وبالنهاية فإن المجتمع السعيد يبنى من خلال العائلة السعيدة وهي التي يحب أفرادها أحدهم الآخر، حيث يتواجد الاهل وحبهم اولادهم ويتواصلون ويتحاورون معهم ويوجهونهم وهذا سر التربية الصالحة وأيضاً توجيه اولادهم نحو الإيمان والصلاة التي هي سر القناعة بالذات والتواضع.

